اغلاط العرب

(تابع لما قبل)

وقال عمر بن ابي ربيعة

فقلتُ لجنّادٍ خذ السيف واشتمل عليهِ برفقٍ وارقب الشمس تغربِ

جزم تغرب على انهُ جواب الامر قبلهُ وانما يُجزَم الجواب اذا كان على معنى الجزآء وهو محالٌ هنا . وعكسهُ قول أُميّة بن ابي الصلت

اطيعوا الرسولَ عبادَ الاله م تنجون من شرِّ يومٍ أَلَمْ

برفع تنجون وجزمهُ في هذا الموضع واجب لانهُ جواب اطيعوا وهو نكتة البيت كما لا يخفى . ويتصل بهذا قول لبيد في معلقتهِ

ترّاكُ امكنةٍ اذا لم ارضَها او يرتبطْ بعضَ النفوس حِمامها

بجزم يرتبط وهو منصوب لوقوعهِ بعد أو التي هي بمعنى الاَّ أنْ . قال التبريزي وقيل يرتبط في موضع رفع (كذا) الا انهُ اسكنهُ لانهُ ردَّ الفعل الى اصلهِ لان اصل الافعال ان لا تُعرَب وانما أُعربت للمضارعة . اه . وانظر اين هذا من علم البدويّ . ومنهُ قول زُهير بن ابي سلمى صاحب الحوليّات

كفعل جوادٍ يسبق الخيلَ عفوُهُ فيُسرِعْ وان يجهدْ ويجهدنَ يبعدِ

بجزم يسرع وهو معطوف على يسبق المرفوع . ولعلهُ يُعتذَر عنهُ بانهُ سكّن آخر الفعل لئلا يجيء هناك لفظ « رِعُوَ » وهو بنآء فيهِ ضمٌّ بعد كسر على ما تقدم في قولهِ « ألا تُمسِكُ عليَّ » . ومن هذا قول نُصَيب

وما ذاك من شيء اكون اجترمتهُ اليها فتُخبِرَني بهِ حيث اعلمُ

باسكان الرآء من تخبر . ومنهُ وان لم يتأتَّ فيهِ العذر المذكور قول ليلى الاخيليـة

كأن لم تكن تقطعْ فلاةً ولم تُنِخ قلاصاً لدى بأوٍ من الارض غابرِ

والامثلة من ذلك كثيرةٌ لا حاجة الى استيفآئها وقد مرّ شيءٌ منها فيما سبق . وقال عمر بن ابي ربيعة

درجت عليهِ العاصفات فقد عفت آياتُـهُ الاّ ثلاثٌ جُثَّـمُ

برفع ثلاث مع انهُ مستثنًى بعد كلامٍ موجب وكان حقهُ النصب كما قال

بالشليل الذي اتى عن يميني قد تعفّت الاّ ثلاثاً جثوما

ومن ذلك قولهُ ايضاً وقيل هو ليزيد بن الحـكَم الثقفيّ

امسى باسمآءَ هذا القلب معمودا اذا اقول صحا يعتـادهُ عِيدا

بنصب عيد وصوابهُ الرفع لانهُ فاعل يعتاد كما قال الآخر « والقلب يعتادهُ من حبها عيدُ » ومعنى العيد ما اعتاد الانسان من حزنٍ او شوقٍ او غير ذلك . ومن الغريب ان صاحب لسان العرب استشهد بهذا البيت في مادة (ع و د) ولم يتعرض فيهِ لشيء مع ان الخطأ واقعٌ في محلّ الشاهد منهُ . وقال عنترة

فيها اثنتان واربعون حلوبةً سوداً كخافية الغراب الاسحمِ

كذا في الرواية المتعارَفة وصوابهُ سودٌ بالرفع او سَوْدَا بالقصر والافراد على انهُ نعت للعدد او المعدود . وقال عمرو بن كلثوم

وان غداً وان اليومَ رهنٌ وبعد غدٍ بما لا تعلمينا

عطف بعد غد على غد وبعد من الظروف التي لا تتصرف. فلا يقع مبتدأً

ولا موضع مبتدأ ٠ ومن هذه القصيدة

ورثتُ مهلهلاً والخيرَ منهُ زهيراً نِعمَ ذخر الذاخرينا

الخير هنا صيغة تفضيل واصلهُ أَخيَرَ على أَفعَل فحُذفت الهمزة لكثرة الاستعمال كما حذفت من أشرّ ونُقلت فتحة اليآء الى الخآء ٠ يريد ورثت مهلهلاً وورثت الرجل الذي هو خيرٌ منهُ فجمع بين ألْ ومِنْ مع افعل التفضيل وهو مما صرّحوا بمنعهِ فتقول زيدٌ افضل من عمرو وزيدٌ الافضل ولا تقول زيدٌ الافضل من عمرو ٠ وقد اعتذروا عنهُ بان ألْ هنا زائدة وما ندري لمَ اختصت زيادتها بهذا البيت ولم تُطلَق في كل تركيبٍ جآء على هذه الصورة

وهذا القدر كافٍ من هذا النوع ومن تفقد شواهد النحو وراجع شروح دواوين الشعرآء وجد من ذلك ما هو اغرب مما ذكرناهُ وابعد مذهباً في الخروج عن قياس امثالهِ الا انهُ قلما تمرّ بهِ واحدةٌ من تلك الشوارد الا يجدهم قد تمحلوا لها وجهاً من المحال او استنبطوا لها قاعدةً تهدم قاعدة بابها فلم يبقَ في الكلام شذوذٌ ولا ضابط وعادت قواعد النحو واقيستهُ ضرباً من التخابيط ٠ وما نظن ابن خلدون عنى بخرفشة النحاة الا هذه السخافات التي اصبحت بها قضايا هذا العلم مثلاً في الركاكة والوهن

ومما يُستلطَف ايرادهُ هنا قول ابن فارس الرازي

مرّت بنا هيفآء مجدولةٌ تركيةٌ تُنمَى لتركيّ

ترنو بطرفٍ فاتنٍ فاترٍ أضعفَ من حجّةِ نحويّ

ونختم هذا الفصل بذكر شيء من اغلاطهم في الوزن والقافية وانما

ننظر فيما سنأخذهُ عليهم الى مباينته للمألوف عند جمهورهم او شذوذهِ عن منهج الطبع دون التفاتٍ الى موافقتهِ لاوضاع الخليل او مخالفتهِ لها ولكننا لا بد ان نعبّر بمصطلح الخليل بياناً لموضع الاخذ ووجههِ. فمن ذلك قول الحارث ابن ظالم المرّيّ

همّت عُكابةُ ان تضيم لجيماً فأبت لجيمٌ ما تقول عُكابهْ

فانهُ جآء بعروض الكامل مقطوعةً في غير التصريع والقطع ان تُحذَف نون متفاعلن وتسكّن لامها فتصير متفاعلْ ويعبّر عنها بفعِلاتُنْ . وهذا انما يقع في ضرب البيت اي في متفاعلن الاخير منهُ كما في هذا البيت نفسهِ ولا يجوز وقوعهُ في غيرهِ من الاجزآء . والتصريع ان يكون صدر البيت مقفّى بقافية عجزهِ فيكون كأنهُ مؤلّفٌ من عجزين كقولهِ

أرسوم دارٍ ام سطور كتابِ دُرِست بشاشتها مع الاحقابِ

ومثل بيت الحارث قول الربيع بن زياد العبسيّ

افبعد مقتل مالك بن زُهيرٍ ترجو النسآء عواقب الاطهارِ

وقولهُ ايضاً من هذه القصيدة

ومجنّباتٍ ما يذُقنَ عذُوفاً يقذفنَ بالمهرات والامهارِ

ويسمى البيت حينئذٍ مُقعَدًا . وعكس هذا قول ذي الاصبع العدواني

يا صاحبيّ قفا قليلاً وتخبَّرا عني لميسا

فجآء بعروض الكامل المجزوء مرفّلةً كالضرب . والترفيل ان يزاد سببٌ خفيف على متفاعلن فتصير متفاعلاتن وهو مخصوصٌ بالضرب كالقطع فيما سبق وانما يجوز وقوعهُ في العروض اذا كان البيت مصرّعاً ايضاً كقولهِ

غيري على السلوان قادر وسواي في العشاق غادر

ومن ذلك قول امرأةٍ من بني مخزوم وهو من شعر الحماسة

ان تسألي فالمجد غير البديعِ قد حلَّ في تيمٍ ومخزومِ

البيت من السريع ووزنهُ في الدائرة مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ لكن عروض هذا البحر لا تستعمل الاَّ مكشوفةً مطوية والكشف حذف السابع المتحرك كالتآء من مفعولاتُ والطيّ حذف الرابع الساكن كالواو فتصير مفعولاتُ بالكشف مفعولا وبالطيّ مَفْعُلا فيعبرَّ عنها بفاعلن وقد جآءت في عروض هذا البيت على الاصل. ومثلهُ البيت الذي يليهِ وهو قولها

قومٌ اذا صوَّتَ يومَ النزالِ قاموا الى الجُرْد الهاميم

وانما يجوز استعمال مفعولات تامةً في السريع المشطور وحينئذٍ يلزمها الوقف وهو تسكين التآء لوقوعها عروضاً وضرباً معاً كقولهِ

اشكو الى الله العزيز الجبّارْ ثم اليك اليوم بُعدَ المُستارْ

وحاجةَ الحيّ وقطَّ الأسعارْ

وانشد في الصحاح للنظّار الفقعسيّ وقيل هو للمرّار الاسديّ

كأنني فوق اقبَّ سهوَقِ جأبٍ اذا عشَّر صاتِ الإرنانْ

وقد جمع فيهِ بين بحرين لان الشطر الاول من الرجز والثاني من السريع الا انهُ جآء بضربهِ على مفعولاتْ وهو غلطٌ آخر لانهُ لا يجيءُ كذلك الا في المشطور كما قدمناهُ . ومما يحسن سوقهُ هنا ما جآء في لسان العربِ وقد روى قول الشاعر

بكى بعينيك واكفُ القطرِ ابنَ الحواري العاليَ الذِكرِ

فقال انما اراد ابن الحواريّ (اي بتشديد اليآء) فحذف الاخيرة من يآءي النسب اضطراراً . اه . قلنا وعلى هذا يصير البيت من بحرين ايضاً لان صدرهُ من المنسرح ووزنهُ مستفعلن فاعلاتُ مفعولن وهو بحر سائر القصيدة وعجزهُ بعد « حذف الاخيرة من يآءي النسب » يصير وزنهُ مستفعلن مستفعلن فعِلُنْ وهو من السريع . وانما يُرَدّ الى المنسرح بان تُجعَل اليآء مشدَّدةً على اصلها وحينئذٍ يكون وزنهُ مستفعلن مفعولاتُ مفعولن كما ترى ولا ضرورة في البيت (ستأتي البقية)

المنطاد القيد[1]

لا نزيد القرآء علماً بما لم يزل اهل البحث والتجربة يعانونهُ منذ اختُرع المنطاد للوصول الى ذريعةٍ يملكون بها قيادهُ في عنان الجوّ ويصرّفونهُ في الوجهة التي يختارونها لما هو معلومٌ ورآء ذلك من الفوائد التي لا تقدَّر بخروج الانسان الى هذا الفضآء الفسيح الجوانب يسعى فيهِ فوق الجبال ويخطو فوق اللجج لا يعترضهُ حاجزٌ من حزون الارض ولا يقف في وجههِ سدٌّ من جمد البحار ولا يستوقفهُ تخم مملكة ولا سور مدينة . فلا جرَم ان الوصول الى تمام هذا الاختراع مما تنقلب بهِ حال الامم وتتغير نسبة الممالك وتتبدل مواقف الدول لان الدولة التي تقبض على عنان المنطاد في الجوّ تقبض على زمام الممالك كلها وتملك كرة الهوآء فتملك ما دونها من الارض وتبسط

(١) المراد بالقيّد القابل الانقياد من قولهم فرسٌ و بعيرٌ قيّد وزان سيّد و يقال قؤودٌ ايضاً على فعول اي ذلولٌ منقاد . تعريب dirigeable

سلطانها على البرّ والبحر بما لا يحصّن منهُ معقل ولا تدفعهُ قوّة جيش ولا تنالهُ شوكة سلاح

ولذا اصبح الاهتمام بتحقيق هذه الامنية شغلاً شاغلاً لارباب السياسة فضلاً عن اهل العلم وبذلت فيها الدول وارباب اليسار الاموال الجزيلة فلم تبقَ مملكةٌ من الممالك المتمدنة الا قام فيها من يزاول الامتحانات والتجارب على وجوهٍ شتى وهم كلما ظنوا ان الامر قد اصبح منهم على حبل الذراع اذا هو مناط النجم او ابعد . وقد نشرنا من ذلك بعض الشيء في اوقاتهِ مما لم تكد الآمال تتعلق بصحتهِ حتى كشف الامتحان فيهِ عن عيوبٍ كانت مستترة على ذويهِ الى ان اصبحت انواع الاختراع فيهِ لا تُحصَى وقد ذهبت باسرها على غير طائل

وقد تناقلت جرائد اوربا في هذه الايام خبر اختراعٍ جديد من هذا القبيل تمّ على يد فتًى من الفرنسيس يقال لهُ المسيو سنتوس دومون اجمع الرواة على انهُ ادرك فيهِ تمام النجح وقد اجرى امتحانهُ في ١٣ من شهر يوليو الماضي على مشهد جماعةٍ من الاشراف والعلماء احتشدوا لحضور هذا الامتحان في ظاهر باريز في المكان المسمى بسان كلو . وذلك ان احد الموسرين المسمى هنري دوتش كان قد ارصد من مالهِ مبلغ مئة الف فرنك تُعطَى جائزةً لاول مخترعٍ فرنسوي يتوصل الى ضبط حركة المنطاد وتسييرهِ على مشيئة الراكب ورسم لاستحقاق الجائزة ان ينهض المنطاد من حديقة سان كلو فيتجه الى برج ايفيل ويدور من حولهِ ثم يعود الى مكانهِ بحيث لا تتجاوز مدة سياحتهِ ذهاباً واياباً ثلاثين دقيقة

وقد كان نهوض المخترع من سان كلو في الساعة السادسة من صباح اليوم المذكور فوجَّه منطادهُ في الخط الذي رُسم لهُ وكان يديرهُ كيف شآء ويستوقفهُ متى اراد كما يتصرف الفارس الحاذق بعنان فرسهِ . غير انهُ بعد ما دار حول البرج واراد الرجوع عرض للآلة المحركة فيـهِ ما شوّش عملها فاضطرَّ ان يسير سيراً بطيئاً بحيث انهُ لم يبلغ سان كلو الا بعد ٣٩ دقيقة

اما شكل هذا المنطاد فهو مغزليٌّ مستطيل افقيّ الوضع يبلغ طولهُ نحواً من ٣٥ متراً وهو يُنفَخ بغاز الهدروجين وموسوعهُ ٥٥٠ متراً مكعباً . وقد نيطت باسفلهِ ذهبية[1] تحملها حبيكة من الخيزران الهندي يشبه شكلها شكل المنطاد الا انها تبلغ نحو النصف من طولهِ وفي مؤخرها الآلة المحركة وهي تدار بزيت البترول بقوة ١٦ فرساً ويتصل بها سُكّان (دفة) من نسيج الحرير يحيط بهِ كفافٌ مثلث الشكل وهو يتصل بالالة بحبالٍ يدار بها تبعاً لمشيئة الراكب

على انهُ بسبب ما ذُكر من تخلُّف المنطاد عن الوقت المسمى لرجوعهِ مع ما حدث فيهِ من التشوُّش في الالة المحركة أُمسكت الجائزة على المخترع الى ان يعيد امتحانهُ طبقاً للرسم . وفيما ذكرت الجرائد الاخيرة انهُ قد اصلح آلتهُ وطار بهِ فوق غابة بولونيا وكان يصعد وينزل ويذهب يمنةً ويسرةً على مشهد الجماهير من الناس والمنطاد في كل ذلك طوع ارادتهِ وفي

---

(١) المراد بها الذهبية المعروفة في اصطلاح هذا القطر وقد اخترناها لتعريب nacelle وهي في الاصل القارب الصغير بغير صارٍ ولا قلع ثم استخدموها لمقام الراكب من المنطاد

عزمهِ ان يطير بهِ مرة أُخرى من سان كلو فيدور حول برج ايفيل ثم يعود الى سان كلو في الموعد المضروب ليستولي على الجائزة فان صح هذا الاختراع على ما يتمثلهُ المخترع ويتوقعهُ القوم منهُ فهو ولا جرم اعظم اختراع يُفتَتَح بهِ تاريخ العلم في هذا القرن

كليات اميركا الجامعة والقابها العلمية

بقلم حضرة الاديب شحادة افندي شحادة

(تتمة ما سبق)

والذي زاد في الطين بِلّة ان كثيراً من مدارس اميركا هي مدارس طائفية اعني ان بعضها اسمها المائودِسْت وبعضها اسمها البَبْتِسْت وبعضها اسمها الاسقفيون فتجتهد كل واحدةٍ منها ان تكثر عدد دكاترة اللاهوت من قسّيسيها طلباً للمباهاة والمكاثرة . وبعض تلك المدارس تهب لقب دكتور لاهوت لأُناسٍ لا يعرفون ان يقرأُوا التوراة بالعبرانية ولا المام لهم بشيء من اليونانية بل قد عرفت بعضاً من اولئك القسوس الدكاترة لا يميزون بين سوريا وارمينيا او بين آسيا الصغرى والارض المقدسة . ولقد كانت نسبة دكاترة اللاهوت سنة ١٨٨٢ الى سائر قسيسي البلاد كنسبة ١ الى ٧ او ما يقرب من ١٥ في المئة وهذه ولا شك نسبة فاحشة على انهُ لو اقتصرت الكليات على منح الالقاب في الفروع التي هي من اختصاصها لهان الامر وخف بعض البلآء. ولكنك كثيراً ما ترى المدارس العلمية مثلاً تهب لقب دكتور لاهوت او لقب دكتور في الشرع وقس على ذلك

وقد تماذت الكليات وعلى الاخص في الثلث الاخير من القرن الغابر في منح لقب دكتور في الفلسفة بدون امتحان طالب اللقب حتى انهُ في سنة ١٨٨٩ اعطت مدارس اميركا الكبرى لقب دكتور في الفلسفة لمئة وواحد وعشرين شخصاً ولم يكن بينهم غير واحد وسبعين شخصاً نالوهُ بعد الامتحان والخمسون الباقون نالوهُ كلقب شرف اي ان الذين نالوهُ شرفاً كانوا على نسبة ٤٢ في المئة حالة كونهم في المانيا لم يزيدوا على ١½ في المئة اي انهُ من كل مئتين ممن نالوا لقب دكتور في الفلسفة لم يكن الا ثلاثة نالوهُ شرفاً والباقون لم يُعطَ لهم الا بعد الامتحان والثقة من اهليتهم واستحقاقهم . فلا غرو بعد هذا اذا كان حائز لقب دكتورية الفلسفة من المانيا يفتخر بلقبهِ على من حاز نفس هذا اللقب من اغلب كليات اميركا . وانما قلت اغلب هذه الكليات ولم اقل كلها لان الالقاب من كلية هارفُرد ويوحنا هبكنس ومشيكن وياثيل وكولمبيا عزيزة المنال ومحترمة في اميركا وفي اوربا ايضاً

وقد بحث رجال العلم كثيراً في امر الالقاب الاميركية واقاموا عليها اشد النكير ومن اولئك الدكتور غلمن احد اقطاب العلم في الولايات فانهُ يرى ان اعطآء القاب الشرف عارٌ على المدارس الاميركية وطلب ان لا تُعطَى تحت اية حالةٍ كانت . ولما التأمت جمعية اللغات في سنسنآتي سنة ١٨٨١ اعترضت اشد الاعتراض على اعطآء لقب دكتور في الفلسفة بدون فحص رسمي وفي سنة ١٨٩١ اجتمع الذين تلقوا علومهم في كلية يوحنا هبكنس الجامعة فابدوا نفس الاعتراض مع الاستيآء الشديد

وفي سنة ١٨٩٣ التأم المجمع العلمي الدولي في شيكاغو وبعد البحث والمناقشة قرروا انهُ لا يجوز ان يُعطَى لقب دكتور في الفلسفة بدون فحصٍ وامتحان . ولكي يعلم المطالع شدة ما حدث في المدارس الكبرى من النفور والاشمئزاز من اعطآء القاب الشرف العلمية اقول ان لجنةً من العلمآء بعثت تأخذ آرآء مئة كلية في مسئلة لقب دكتور في الفلسفة فظهر من الاجوبة ان احدى عشرة كلية لا غير راضية عن اعطآء هذا اللقب بدون امتحان والتسعَ والثمانين الباقية اظهرت استيآءها منهُ واوجبت ان لا يُعطَى الا بعد امتحان الطالب والوقوف على حقيقة منزلتهِ العلمية

ومنذ نحو سنتين اجتمع رؤسآء كليات مسّوري وانديانا وأَيوا وكولورادو وبحثوا في سبب احتقار اوربا لرتب اميركا العلمية وبعد المفاوضة رأوا ان من الحكمة ان لا تسمح حكومات الولايات لاحدى الكليات ان تمنح لقباً فوق لقب بكالوريوس علوم ما لم تكن من الكليات المعتبرة عندها وهي التي تكون دروسها مطابقةً للرسم الذي تعينهُ لها وهذا الرسم تضعهُ لجنة مؤلفة من حاكم الولاية وبعض العلمآء الذين تختارهم الحكومة . ويؤمل العقلآء ان هذه الامور لا بد ان تصير الى اصلح ومن تأمل في حداثة البلاد واقدام اهلها وما وصلت اليهِ مدارسها الكبرى كهارفرد ويائيل وبرون وغيرها يتحقق ان اميركا ستسبق مدارس اوربا في إِحكام دروسها وقوانينها وما ينشأ عنها من جليل الخدم للعلم والانسانية

رومية وآثارها الشرقية

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا

(تابع لما في الجزء الحادي والعشرين)

ومما امتازت بهِ ايضاً هذه المدينة كثرة المكاتب القديمة الجامعة لكل نوع من الكتب والمخطوطات النفيسة في اكثر اللغات المتمدنة القديمة والحديثة فان قيام مركز البابوات فيها من اول عهد النصرانية وتوليهم بعد ذلك فيها الاحكام الزمنية ساعد على جمع هذه الكنوز الثمينة وحفظها في مكاتبها الى اليوم ولا سيما ان اكثرهم كانوا من اصحاب الاقلام الذين اشتهروا بنشر راية العلم وتعزيز اركانهِ

ومن هذه المكاتب ما يخص اليوم الحكومة المحلية الايطاليانية التي وضعت يدها عليها يوم دخلت رومية واستولت عليها وقد اضافت اليها الكتب التي وُجدت حينئذٍ في مكاتب اديار الرهبان الايطاليان الذين استولت على املاكهم اذ ذاك فضمتها الى مكاتب المدارس البابوية القديمة حتى تألفت منها مكاتب عظيمة نفيسة غنية بكل نوع من المخطوطات القديمة . ومنها ما يخص بعض الامرآء الرومانيين وبعض الأُسَر الشريفة التي خرج منها بعض البابوات والكرادلة فانشأوا هذه المكاتب باسم أُسرهم وجعلوها مكاتب عمومية يدخلها الجمهور في ايام معينة من الاسبوع للمطالعة في اسفارها وسجلاتها . ومنها ما لا يزال في حوزة البابوات وتحت ايديهم لم تمسهُ الحكومة المحلية الا انها لم تترك منها سوى مكتبة الفاتيكان ومكتبة

البروباغندا . وكل هذه المكاتب العمومية قديمة وغنية بالمخطوطات القديمة اما الجديدة الخاصة الجمعيات العلمية والجماعات الرهبانية فهي كثيرة لا اهمية لها عند اهل البحث بالنسبة الى المكاتب القديمة واهمية مخطوطاتها فان هذه كلها لا تخلو من المخطوطات الشرقية ولا سيما العبرانية والسريانية والعربية. واعظمها واغناها في الكتب الشرقية مكتبة الفاتيكان الشهيرة التي هي اقدم واعظم مكاتب العالم العمومية واغناها بانواع المخطوطات القديمة النادرة ولاسيما الشرقية و بعدها مكتبة الامير باربارنبي ثم مكتبة البروباغندا. ومكتبة الفاتيكان يتصل تاريخها باول عهد النصرانية وزمان دخولها الى رومية الا انها كانت حينئذٍ مكتبة دينية محضة كما هو الشأن في كل مدينة قامت فيها كنيسة او جماعة من المسيحيين مؤلفة من راعٍ ورعيّة يتعلمون منهُ تعليم المسيح فكان اول ما دخل الى هذه المكتبة على ما يتبادر الى الذهن الكتب التي وجَّه بها الرسل الى الرومانيين مثل انجيل مرقس ولوقا ورسالة بولس ورسالة القديس اغناطيوس بطريرك انطاكية وهم كلهم شرقيون . الا انها لم تصر مكتبة جامعة لانواع العلوم والفنون الا في أثنآء القرن الخامس في عهد البابا ايلاريون الذي يُحسَب مؤسساً لها . وكان مركزها قديماً بقرب كنيسة القديس يوحنا اللوترانية حيث كان مركز البابا وات اذ ذاك ولما انتقل مركزهم الى الفاتيكان نُقلت المكتبة اليهِ ولا تزال فيهِ ومنسوبةً اليهِ . وقد اعتنى بامرها البابا وات في كل عصر الا انهُ اغناها بوجهٍ خاص البابا نقولا الخامس في القرن الخامس عشر اذ ارسل رجالاً علمآء في جهات كثيرة من البلاد يبحثون عن الكتب العزيزة النادرة من جميع

اللغات فجمعوا منها ما لا يقع تحت الحصر ولا سيما الكتب اليونانية التي استصحبها اليونان معهم من القسطنطينية بعد فتحها واتوا بها الى ايطاليا . وكذلك فعل بعدهُ البابا سكستوس الرابع ثم البابا غريغوريوس الثالث عشر وهو الذي ارسل ابيل مطران صيدا اللاتيني الى مصر وسوريا والعراق حيث اقام نحو اربع سنين فجمع من المخطوطات الشرقية شيئاً كثيراً اتى بهِ الى هذه المكتبة وجُعل حينئذٍ في قسم مخصوص بالمخطوطات الشرقية. وقد زاد هذا القسم ووسّعهُ واتقن ترتيبهُ العلامة الشهير يوسف السمعاني اذ كان قيّماً على هذه المكتبة بما استحضرهُ لها من المخطوطات النفيسة في سفراتهِ الكثيرة الى جهات شتى من البلاد الشرقية حيث جمع ما لا تعرَف لهُ قيمة ولا يقدَّر بثمن الا ان بعضها احترق مع ما احترق من كتبهِ الخاصة وبعضها اتلفهُ ماء البحر والمطر اذ ارسلها من الشرق مع اناسٍ اعاجم لا يعرفون لها قيمة. وهو الذي عمل لها برنامجاً كبيراً مستوفي البيان في موضوع كل كتاب واقسامهِ وفصولهِ وتاريخ مؤلفهِ وناسخه وغير ذلك وقد طبع هذا البرنامج خلفهُ في القيام على المكتبة الكردينال ماي ولم يزد عليهِ شيئاً والى اليوم لم يجدَّد طبعهُ. والقسم الجديد من المخطوطات الشرقية التي دخلت المكتبة بعد موتهِ وُضع لهُ برنامج جديد يشمل ما كان في مكتبة الكردينال ماي المذكور وما اهدي لها من بعض الافراد الشرقيين وغيرهم وما استحضرهُ لها من الشرق المثلث الرحمة المطران يوسف داود اذ كان احد نظارها وأُرسل الى الشرق لطلب المخطوطات القديمة فجمع منها اذ ذاك شيئاً كثيراً وضعهُ في هذه المكتبة وقد وقف لها في وصيتهِ

الاخيرة شيئاً من المخطوطات التي كانت في مكتبتهِ الخاصة

وفي ازمنـة مختلفة أُهدي لبعض البابا وات عدة مكاتب قديمة من بعض الملوك والامرآء عدا مكاتب كثيرٍ من الكرادلة اضيفت كلها الى مكتبة الڤاتيكان الاصلية التي صارت بعد ذلك مجموع مكاتب لا مكتبة واحدة تُعرف كلٌّ منها باصولها وبرنامج كتبها

ويبلغ الآن عدد هذه المخطوطات فيها على اختلاف لغاتها نحو ثلاثين الف مجلد من المجلدات الكبيرة اكثرها باللاتينية ويليها من المخطوطات اليونانية اربعة آلاف ومن العربية نحو الف مجلد ومن العبرانية خمسمائة ومثلها من السريانية ثم يأتي بعدها المخطوطات الفارسية والتركية والقبطية والحبشية والارمنية الى آخر ما هنالك

اما المطبوعات فلا اقل فيها من مائة وخمسين الف مجلد بل هي مما لا يمكن حصرهُ بعدد لانها في ازدياد كل يوم بما يأتيها من الهدايا التي تقدم اليها من الجمعيات العلمية الكبيرة من جميع البلاد الاوربية والاميركية وما يقدمهُ اليها الكتاب الذين يشتغلون فيها بالتأليف او يأخذون عن كتبها او يهتمون بنشر شيء منها بل تجعل هذا رسماً في بعض الاحيان حتى لو أُخذت نسخة كتاب من مخطوطاتها بالفوتغرافية تأخذ منهُ نسختين مع انها لا تطلب غير هذا شيئاً بدل ما تنفقـهُ على عمالها ومدبّريها من الاموال الجزيلة. ويُضاف الى هذه الكتب الهدايا التي تُقدَّم الى البابا ويشترط فيها عندهم ان تكون مجلدة بجلد ابيض كامل وكلها متقنة التجليد ويغلب فيها التجليد المذهب . والكتب المطبوعة موضوعة في القسم الاسفل (الدور الاول)

من المكتبة في خزائن كبيرة مكشوفة او مطلقة سهلة التناول ويتعهدها بالتنظيف عشرة من العمال عدا الكتاب والنظار المكلفين بمراقبة العمال المذكورين واعمالهم . واما الكتب المخطوطة فموضوعة في القسم الاعلى في ردهةٍ فسيحة عالية مطلقة الهوآء ضمن خمسين خزانة عظيمة مقفلة مصفوفة الى جدرانها وكلها من الخشب الحسن الصنعة مزينة باشكال الرسوم والتصاوير . وتحيط بها من كل جهاتها وفي سقفها صور كثير من الباباوات ومشاهير الرجال وكثير من الوقائع التاريخية مما يخيل للداخل اليها انهُ في عالم من الاحيآء قديم برجالهِ وعلومهِ ووقائعهِ مجتمع في الفاتيكان الى اليوم الاخير. وفي وسط هذه الدار بعض المخطوطات القديمة العهد كنسخة التوراة اليونانية المعروفة بالنسخة الفاتيكانيـة وهي مكتوبة في القرن الرابع ونسخة من منظومات فرجيل الشاعر اللاتيني الشهير ونسخة بديعة الخط والتصوير من السنكسار اليوناني المعروف بالنيولوجيون الباسيلي من القرن العاشر وهدايا بعض الملوك التي قُدّمت الى بعض الباباوات ومنها جرن عظيم من الرخام الابيض الناصع أرسل تقدمةً من المغفور لهُ محمد علي باشا رأس الاسرة الخديوية .

وهذه الكتب حسنة الخط على الجملة واضحة الرسم في اصلها الا ان الايام ذهبت منها ببعض الحروف بل ببعض الكلمات وربما ذهبت بصفحات كاملة بحيث انها لا تقرأ الا بعد كدّ البصر والذهن وطول الممارسة بالمراجعة والمقابلة ولا سيما المخطوطات العربية لان كتّاب العرب لم يكونوا قديماً ينقطون كل حروف المعجم كما يفعلون اليوم واول ما وضعوا النقط

كانوا يجعلونها على الحروف التي تلتبس بغيرها مما هي على صورتها دفعاً للاشكال ويتركون الباقي اعتماداً على القرينة

وفي صدر هذه الدار ردهةٌ كبيرة مثل غيرها من رِداه الفاتيكان مزينة بكثير من الرسوم وصور بعض الكرادلة الذين تولوا القيام على المكتبة تطل على ساحة واسعة في وسطها بركة مآء كبيرة يصعد منها المآء بنوافر من اربع جهاتها الى علو خمسة او ستة امتار الى حوض عالٍ اصغر منها يتوسط تلك النوافر وينحدر المآء منهُ من كل جوانبهِ اليها . وهذه الغرفة مخصوصة باهل البحث والمطالعة من السيدات وبجانبها غرفة اكبر منها مخصوصة بالرجال وفيها يكون قيّم المكتبة وعشرة من النظار يراقبون الكتّاب ويتعهدون الكتب بحسب اختلاف لغاتها . وفيها ايضاً قوانين هذه المكتبة منشورة باربع لغات يكلف بقرآءتها اولاً كل من يدخلها من اهل المطالعة والبحث ومن قوانينها منع اخراج اي كتاب منها الاَّ باذن البابا بحيث لا يقدر ان يسمح بذلك لا قيّمها ولا الكردينال الذي هو رئيسها الشرفي وهذا مما يدل على شدة حرصهم على هذه الكتب النفيسة

ولا يقصد هذه المكتبة الاَّ طبقةٌ خاصة من اهل البحث المشتغلين بالتاريخ والعاديّات وباقي علوم المتقدمين لتحقيق ما لا يصلون اليهِ من المكاتب العمومية في رومية او في غيرها الا ان عددهم لا ينقص عن مئتي كاتب من ايطاليان وغيرهم وقد يكون الكاتب منهم مستقلاً بعملهِ وقد يكون عضواً عاملاً في احدى الجمعيات العلمية مقيماً في رومية وقد يكون غريباً عنها موفَدًا اليها من احدى هذه الجمعيات ومأجوراً على عملهِ وفيهم

طائفة من النساخ والمصورين الشمسيين الذين وقفوا ايامهم لمثل هذه الاعمال بأجرة او اجر . وفيهم ايضاً عدد عظيم من المستشرقين الأ انهُ لا يوجد من الشرقيين سوى ثلاثة احدهم الفقير كاتب هذه الرسالة ابحث فيها عما لهُ شأن في تاريخ طائفتنا الروم الكاثوليك غير مكافٍ ولا مأجور من احد سوى الله الموفق الى كل خير وصلاح

استصحاب الاكسيجين في المناطيد

من المعلوم ان الهوآء تقلّ كثافتهُ كلما ازداد ارتفاعاً عن سطح الارض وبالتالي تقلّ كمية الاكسيجين فيهِ حتى لا يعود كافياً للتنفس ولذلك اذا ارتفع الانسان الى ٥٠٠٠ متر فما فوق يضعف فعل الاكسيجين عن حاجة الدم واذا استمرّ في صعودهِ فقد ينتهي امرهُ بالاختناق كما يعرض لمن كان في اسفل بئرٍ مثلاً والسبب في كلتا الحالتين واحد . وقد اخترع المسيو بول بير طريقةً لتعديل التنفس في الاماكن التي قل هوآؤها فعمل لذلك جهازاً يُتنفس بهِ الاكسيجين بواسطة انبوبة مرنة ذات فمٍ يوضع بين الشفتين . لكن وُجد ان هذه الطريقة لا يتمّ بها التنفس على حقهِ لان الانسان يعتاد منذ مولدهِ ان يتنفس من انفهِ لا من فيهِ واذا تنفس من فيهِ لا يملأُ الهوآء المتنفَّس الا تجويف الفم وكثيراً ما يُدفع الى الخارج دون ان يدخل الرئتين . ولذلك اخترع المسيو كايتّاي جهازاً آخر وافياً بالغرض وهو يتركب من اناءٍ من الزجاج يُملأُ من الاكسيجين السائل وهذا الاناء ذو جدارين احدهما يستبطن الآخر وما بينهما مفرَّغ من الهوآء لمنع وصول

الحرارة الى باطن الانآء . ويخترق سدادهُ انبوبتان دقيقتان من المعدن يمتدّ الطرف الداخلي من احداهما الى سطح الاكسيجين السائل ويتصل بالطرف الآخر كرةٌ جوفآء من المطّاط فاذا ضُغط على الكرة تسرَّب الهوآء الذي فيها الى داخل الانآء وضغط على الاكسيجين السائل فيرتفع جانبٌ منهُ في الانبوبة الاخرى وينصبّ في وعآء اسطواني من النحاس فاذا لاقى حرارة الهوآء المحيط ارتفعت درجة حرارتهِ وعاد غازاً في الحال

وبعد خروجهِ من هذا الوعآء وهو في الحالة الغازية يُحصَر في خريطةٍ من المطاط يتصل بها انبوبةٌ مرنة توصلهُ الى الجهاز التنفسي . وهذا الجهاز شبه برقع من الالومينيوم يُشَدّ على الوجه بواسطة عصائب مطاطة وهو لا يغطي الا الانف والفم . وفي مقدَّم هذا البرقع لهاةٌ يوضع عليها طرف الانبوبة المذكورة فتنفتح بواسطة الفعل المشترك بين جذب النفَس من الداخل وضغط الغاز من الخارج عند خروجهِ من الخريطة وعند دفع الاكسيجين لهذه اللهاة يدخل الى البرقع ويملأهُ ومن هناك ينتهي الى الرئتين

وقد ظهر من اختبار الصاعدين في المناطيد ان تنفس الاكسيجين الصِرف يسبب لهم غثياناً مزعجاً ولذلك جعل في ظاهر البرقع مصراعاً يُفتَح عند الارادة ويدخل منهُ شيءٌ من الهوآء فيخالط الاكسيجين عند تنفسهِ ويقدّر الراكب ما يحتاج اليهِ من هذا الهوآء بحيث انهُ كلما ارتفع صُعُداً زاد مدة فتحهِ وبهذا صار من الممكن ان يرتفع الانسان في المنطاد الى ما شآء من العلوّ ويبقى مدة ساعات بدون ان يتغير عليهِ شيءٌ في امر التنفس

اسئلة واجوبتها

المنصورة — قرأت في الجزء الاخير من الضيآء جواب حضرتكم على لفظة أَترَب الواردة في احدى الجرائد الكبرى بمعنى افتقر حيث اوردتم عليها عبارة مختار الصحاح المتضمنة ان اترب معناهُ استغنى من غير زيادة وأرى ان هذا تساهل من حضرتكم لانهُ واردٌ في كتب اللغة بالمعنيين ففي القاموس ما نصهُ وأترب قلّ مالهُ وكثر ضدٌّ . وعبارة لسان العرب وأترب استغنى وكثر مالهُ فصار كالتراب هذا الاعرف وقيل اترب قل مالهُ . اه . ولا يخفى على حضرتكم ما لهذين الكتابين من المنزلة عند اللغويين وعلى هذا يقال ان تلك الجريدة قد استعملت أترب باحد معنييهِ فهي قد اصابت ولا يقال انها اخطأت كما يفهم ذلك من اقتصار حضرتكم في هذا الجواب فارجو ان تدرجوا هذا في جزء الضيآء الآتي تلافياً لما وقع في الجزء الماضي من التساهل وابدي لحضرتكم فائق الاحترام محمود نجم الدين

الجواب — لا يخفى على حضرتكم ان الجواب انما يكون بحسب المقصود من السؤال والسائل انما يريد بيان الصواب في استعمال هذه اللفظة لا حكاية ما ورد فيها من التفاسير المختلفة وهو ما ذهبنا اليهِ في الجواب دون التعرض لتخطئة تلك الجريدة التي لم يُذكَر اسمها فضلاً عن علمنا بان باب الاعتذار واسع ولا سيما مع ما تعلمون من اختلاف لغاتهم وتداخلها في النقل بحيث ان المعتذر لا يعدم ما يحتج بهِ من كلامهم حتى لم يبقَ في اللغة شيءٌ يقال لهُ خطأ سوآء كان ذلك في الفاظ اللغة ام في الاحكام النحوية

والصرفية . وحسبكم ان منهم من نصب الفاعل ورفع المفعول بهِ وجزم الفعلين بعد اذا ورفعهما بعد متى ومن قال في هوايَ هوَيَّ وفي بِيع بُوعَ وقال استدعيتهُ استدعاياً وقاتلتهُ قيتالاً الى غير ذلك مما لا نطيل بهِ ومما انتم بهِ ادرى وبالتالي فلو سألنا سائلٌ هل يجوز نصب الفاعل مثلاً هل كان يصحّ ان نفتيهُ بالجواز لورود ذلك في احد المنقولات الشاردة . واما ما ذهبتم اليهِ من انهُ كان ينبغي ان نورد القولين في اللفظة التي نحن فيها فهذا محلهُ مطوَّلات اللغة وحيث يُقصَد حكاية كل ما ورد عنهم من مستعمل ومهمل لا في جواب سائل يسترشد الى الوجه الصحيح المعوَّل عليهِ في الاستعمال . ويكفي هنا ان نردكم الى ما نقلتموهُ عن لسان العرب فانهُ صرَّح بان كون اترب بمعنى استغنى هو الاعرف في هذه اللفظة ثم ذكر المعنى الثاني بقولهِ وقيل اترب قلّ مالهُ ولا يخفى ما في هذا التعبير من ضعف الثقة بالمنقول فهو على هذا من الاقوال المطَّرَحة عندهُ . واما نقل صاحب القاموس للمعنيين من غير تنبيه فقد علمتم من عادتهِ انهُ ينقل الغث والسمين على السوآء وهذه احدى الآفات فيهِ على ما اشرنا اليهِ غير مرة بل هو لا يكاد يصدّق ان يتعلق باللفظة الغريبة والمعنى النادّ ليفتخر بهِ على الجوهريّ كما صرَّح بذلك في خطبة كتابهِ . على انهُ لم يكفهِ هنا انهُ سوَّى بين المعنيين حتى قدَّم قل مالهُ على كثر مالهُ وهي نهاية التغرير والافساد للّغة وقد ردَّ المرتضى هذا الموضع في تاج العروس الى نصابهِ فصرَّح بان معنى كثر مالهُ هو الاعرف وفاقاً لما جآء في لسان العرب . وبقي ان الذي نقلناهُ عن مختار الصحاح هو عبارة الصحاح بعينها ومنزلة الصحاح معلومة عند اهل

اللغة فان المؤلف رحمهُ الله لم ينقل فيهِ الا ما صحّ عندهُ سماعاً عن العرب انفسهم ويشهد لما جآء فيهِ استعمالهم لهذا الحرف ومنهُ البيت المشهور وهو من شواهد النحو

لولا توقُّع معترٍ فأُرضيَهُ ما كنت أُوثر إِترابًا على تَرَبِ

وظاهرٌ ان المراد بالإِتراب الغنى مصدر أَترَب وبالتَرَب بفتحتين الفقر مصدر تَرِبَ من حدّ تَعِبَ وهو المعنى الصحيح لهذا البيت على ما بسطناهُ في غير هذا الموضع والله اعلم

المنصورة — جرى كتابنا الى اليوم على تعريب كلمة international بمختلط وهو ايضاً تعريب كلمة mixte فصار هذا اللفظ يعبَّر بهِ عن معنيين مختلفين . على انهُ ينطبق تماماً على معنى اللفظة الثانية دون الاولى لانهُ اذا قيل مثلاً cercle international فالمراد بهِ النادي الذي اعضآؤهُ تابعون لدول مختلفة بخلاف ما اذا قيل cercle mixte فانهُ يراد بهِ النادي الذي يكون اعضآؤهُ من طبقات مختلفة فما أليق لفظةٍ تعرَّب بها كلمة international

الجواب — لا يخفى ان هذه الكلمة في لغة اصحابها مركبة من ركنين دل مجموعهما على معنًى لا يمكن التعبير عنهُ عندنا بلفظةٍ واحدة ولذلك فلا بد لنا في تعريب امثال هذه الكلمة من التساهل بعض الشيء بحيث ندل على المراد بالعُرف والاستعمال لا بأصل الوضع . وعليهِ فيصحّ ان نعبّر عن هذه الكلمة بالممتزج او المشترَك ولنا ايضاً ان نعرّبها بالمتداخل وهو ما دخل

بعضهُ في بعض ومنهُ التداخل في اصطلاح علمآء اللغة وهو ان يجمع المتكلم بين لغتين كما يقال مثلاً حضِر يحضُر بكسر الضاد في الماضي وضمها في المضارع فان الاول من لغة من يقول حضِرَ يَحضَر مثل علِم يعلَم والثاني من لغة من يقول حضَر يحضُر مثل نصَر ينصُر . وقريبٌ منهُ التداخل عند المناطقة وهو ان يصدق احد الشيئين على بعض ما صدق عليهِ الآخر وحاصلهُ اشتراك المتباينين في امرٍ يجمع بينهما والله اعلم

القاهرة — يقال ان عمر الارض من حين جمدت وصارت صالحةً لظهور ذوات الحياة يقدَّر بعشرين مليون سنة وان البشر وُجدوا على سطحها منذ عشرة آلاف سنة فهل ذلك صحيح

حنا الياس العريان

الجواب — لم يتفق العلمآء الى الآن على تقدير مدة الارض قبل زمن التاريخ واشهر ما قالوهُ في ذلك ان عمرها منذ انفصالها عن الشمس الى الطور الحالي وهو المسمى بالطور الحديدي يقدَّر بثلاث مئة وخمسين مليون سنة وانها صارت صالحةً لظهور ذوات الحياة منذ خمسين مليون سنة وظهر الانسان عليها منذ خمسين الف سنة وقيل منذ مئة الف سنة الا ان كل ذلك من التخرصات التي لا يوثق بصحة شيء منها . واما الزمن التاريخي فاقدم ما يُذكَر من حوادثهِ على ما يُستخرَج من قيود منَتون كاهن هليو بوليس يرتقي الى ٥٠٠٤ سنين قبل تاريخ الميلاد وكانت الحضارة لذلك العهد بالغةً مبلغها في البلاد المصرية والناس يكتبون ويشيدون الهياكل الفخيمة والابنية العجيبة مما يدل على ان الانسان وُجد قبل ذلك بكثير

ولعلّ الذي فرض وجودهُ على الارض منذ عشرة آلاف سنة بنى على هذا والله اعلم

آثار ادبيّة

الخزّان — هو اللفظ الذي اختارهُ حضرة الكاتب الاريب نجيب افندي هاشم عنواناً لجريدةٍ سياسية ينشرها في هذه العاصمة والمشار اليهِ ممن خدم هذه الصناعة عدة سنين فحُمد اثرهُ فيها ونال جميل الشهرة بين اصحاب الاقلام . وقد وردنا العدد الاول من هذه الجريدة فوجدناهُ مشحوناً بمقالاتٍ ونبذٍ شتى تدلُّ على ما عند كاتبها من طول الباع في اساليب الكتابة وتمحيص الاخبار والتنقيب عن اسرار الحوادث مما يرتاح الى الوقوف عليهِ كل مطالع

والجريدة معتدلة الحجم رشيقة العبارة سهلة الأداء وقد ابتدأ اصدارَها بعددٍ واحد في الاسبوع وجعل قيمة اشتراكها ٧٧ غرشاً مصرياً او ٢٠ فرنكاً في السنة وفيما نعهدهُ في حضرة كاتبها من اعتدال الخطة والمعرفة بواجبات الجرائد والغرض من انشائها ما نتوقع معهُ ان تكون من الجرائد الداعية الى الوئام المخلصة الخدمة للمصلحة العامة فنرحّب بها ونرجو لها تمام الانتشار والثبات والحظوة في عيون الجمهور

فكاهات

رواية

القتيل (١)

كان في مدينة ملبرن من استراليا شابان انكليزيان يقال لاحدهما هنري وللآخر جورج وكان كلاهما من الاسر الغنية وقد ورثا عن والديهما اموالاً طائلة ولم يكن لهما احد من الاهل في تلك البلاد فجمعتهما رابطة الصداقة وجامعة الوحدة فتصادقا وتآخيا وكانا لا يُفرقان عن اخوين من أب واحد . وكانا قد تلقيا علومهما الابتدآئية في بعض مدارس استراليا ثم خطر لهما ان يذهبا الى انكلترا ليدرسا فيها علم الحقوق بقصد زيادة الاطلاع وتوسيع المدارك لا بغية التعيش من تلك الصناعة فانهما كانا في حالة مالية تكفيهما معاناة الاشغال . وبعد ان اقاما مدة في لندن واتما دروسهما اخذا في زيارة بعض المدن البريطانية ترويحاً للنفس قبل عودتهما الى وطنهما استراليا فالقاهما التَرحال في مدينة من مدن اسكتلندا وكان في ظاهر المدينة قرية مشهورة باجتماع الشبان للالعاب البدنية والرياضة فقصداها ولبثا هنالك اياماً يجولان بين الوهاد والهضاب وقد اعجبهما ما رأياهُ من المناظر الطبيعية . واتفق ان اطلاّ يوماً على سهلٍ صغير فوقعت اعينهما على رجل نائم على التراب بهيئة غير طبيعية وكانهُ يتلذذ بحرارة الشمس الواقعة عليهِ فحسباهُ سكران . فوجها خطواتهما نحوهُ لينظرا ما امرهُ ولكنهما لم يبلغا اليهِ حتى وقفا مبهوتين لانهما رأيا منظراً تقشعرّ لهُ الابدان . وكان الرجل المذكور كهلاً تدل هيئتهُ على انهُ من اسرة كريمة ويدل لباسهُ على انهُ من ذوي الثروة والجاه ولم يكن سكران ولا نائماً بل كان مقتولاً وقد وجدا في صدغهِ

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

الايمن ثقب رصاصة قد اندفق منهُ الدم فصبغ بياض لحيتهِ وشعر رأسهِ وسال على ثيابهِ الى الارض. فانحنى جورج الى الرجل وجسّ يدهُ لعلهُ يدرك بهِ رمقاً فوجد انهُ قد فارقتهُ الحياة من زمنٍ ولبث الاثنان ينظران الى الجثة وهما لا يدريان ما يفعلان ثم قال هنري دعنا نفحص في جيوب الرجل لعلنا نعثر على اسمهِ او نعرف احداً من ذويهِ فبحثا فلم يجدا شيئاً سوى منديل الرجل ومحفظة للنقود خالية ولم يجدا معهُ شيئاً يدل عليهِ . فقال جورج اظنني عرفت قاتلهُ . فقال لهُ هنري وكيف ذلك . قال رأيت بين الذين امّوا هذه القرية رجلاً يقارب هذا في العمر اشقر الشعر ازرق العينين خالج صدري حال وقوع نظري عليهِ انهُ ينوي في هذه البلدة شرّاً لما لاحظتهُ من قلقهِ المستمرّ وعدم قرارهِ ومن نظراتٍ وحشية كنت اقرأها في عينيهِ . وعندي ان لا نضيع الوقت سدًى بل ينبغي ان نعجل الى شحنة البلد ونعلمهم بالخبر قبل ان تقلع الباخرة من الميناء ويفرّ القاتل . فاستصوب هنري رأي صاحبهِ واسرع الاثنان عدواً قاصدين المدينة غير انهما ما اشرفا عليها حتى رأيا الباخرة قد اقلعت وامعنت في عرض البحر فوقفا حيناً يتأسفان على تأخرهما وقد ترجح عندهما فرار القاتل

ولما بلغا المدينة اعلما جهة الاختصاص بما رأياهُ فاسرعت رجال الشحنة الى محل الحادثة وشرعت في التحقيقِ ولكنهُ بعد طول البحث ودقة التفتيش لم يعرف عن القتيل شيء ولم يوجد معهُ ما يستدلّ بهِ عليهِ واخيراً قرّر الشرطة عدم امكان معرفة القاتل وتبادر الى ذهن رجال الحكومة ان الرجل قد انتحر فاودعوهُ التراب ونسي امرهُ كانهُ لم يكن . ثم سافر جورج وهنري عائدين الى استراليا وما عتما ان نسيا هما ايضاً هذه الحادثة فاصبحت لدى العالم باسرهِ في خبر كان

وكان هنري وجورج لا يطيق احدهما فراق الآخر فاقاما في دارٍ واحدة يتمتعان بلذة القرب وطيب المعاشرة . وعاد جورج في احد الايام الى المنزل وقد مضى على اجتماعهما هذا مدة خمس سنوات فرأى هنري واقفاً وحولهُ اربعة من صناديق السفر فاستغرب جورج الامر وقال لهنري اراك مستعداً للسفر ولم تعلمني بذلك فما الخبر . فضحك هنري وقال ابى الله ايها الصديق ان افارقك ما دمنا متآخيين

متصافين وهذه الصناديق ليست لي. وانما هي لسيدة وصلت مع الباخرة الآن وهي تجهل البلاد ولم تجد من يستقبلها . وقد صادفتها على الرصيف ورأيت ما هي فيهِ من الارتباك فعرضت عليها مساعدتي فقالت انها ارسلت تلغرافًا ينبئ بقدومها ولكنها لم تر احدًا لدى وصولها الى البرّ فوجدت من فروض الانسانية ان اتخذ على نفسي خفارتها واوصلها الى مقرها سالمة فدعوتها الى هنا ريثما تستريح قليلاً من وعثآء السفر ثم نسير بها الى حيث تشآء ان تذهب . وبينما هو في الحديث اذا بالفتاة قد خرجت بعد ان بدّلت ثيابها واصلحت شعرها فعرّفها هنري بصديقهِ جورج وأخذت الفتاة تشكر معروف هنري واهتمامهُ بها ثم اطلعتها على شيء من خبرها فقالت

انني ولدت في استراليا وتوفي ابواي وانا صغيرة السن بعد ان اقاما عمي وصيًا عليّ وتركا في يديهِ ثروتهما الطائلة واملاكهما الكثيرة . وكان عمي ولا يزال عزبًا الى الآن فرباني عندهُ بغاية العناية والانعطاف حتى اذا بلغت الثانية عشرة من عمري اخذني الى انكلترا لاتلقى فيها العلوم . وبعد ان اوصلني الى احدى المدارس المشهورة عاد الى املاكنا هنا ليعتني بها ويحافظ عليها وكان يكاتبني مع كل بريد ويزورني من سنة الى أخرى وآخر مرة زارني فيها وعدني انهُ متى فرغت من دروسي يعود بي الى استراليا فنسكنها معًا . وقد كتب اليّ منذ نحو خمس سنوات يعلمني بحضورهِ ليصحبني معهُ ولكنهُ اتبع كتابهُ بكتاب آخر يقول فيهِ انهُ مرض فجأةً ولم يعد قادرًا على السفر ويلح عليّ ان ابقى في انكلترا في المدرسة وانهُ يبعث اليّ بالنفقة اللازمة . وكان حبي لعمي عظيمًا واحتفائي بهِ شديدًا فكتبت اليهِ في الحال وقد اقلقني مرضهُ وسألتهُ ان يسمح لي بالسفر اليهِ لاعتني بهِ وأمرّضهُ فلم يكن ليسمح لي البتة بذلك بل كان يلحّ عليّ بالبقآء في انكلترا واني اذا فارقتها اخالف رضاهُ واستوجب كدرهُ فاضطررت ان ابقى . ومضت هذه المدة الطويلة وهو يحتج بمرضهِ انهُ يمنعهُ من زيارتي ويحظر عليّ المجيء اليهِ حتى مرّت هذه السنوات الخمس فلم يبقَ لي صبرٌ على الانتظار وحملني شوقي الى عمي ان خالفت اوامرهُ فتركت انكلترا وجئت ولو لم يرضهِ حضوري وفي يقيني انهُ يصفح عن ذنبي هذا عند ما اصل اليهِ واقبل

يديهِ. وقد بعثت اليهِ امس بتلغراف اعلمهُ بقدومي وانتظرت انهُ يستقبلني او يرسل من ينوب عنهُ في ذلك فخاب املي وسآء فألي ولا اعلم هل ان رسالتي لم تصلهُ او سآءهُ قدومي فلم يحلُ لهُ استقبالي . ولما كانت قد طالت غيبتي عن استراليا وحدث في مدة غيابي عدة تغييرات في البلد رأيت انهُ غير ممكن لي ان اذهب بنفسي الى قريتنا وقد رأيت في وجهك ايها الشهم دلائل الكرامة وطيب الاصل فلم احجم عن القآء امري اليك وطلب مساعدتك في ايصالي الى حيث اقصد

فقال هنري اليكِ ايتها السيدة ما ترومين فلا احب الينا من خدمتكِ وقال جورج ان عندنا عربةً تقلّ راكبين فقط فهنري يوصلكِ بامان وانا اتكفل بايصال امتعتكِ فما عليكِ الا ان تعطينا اسم المحل الذي تقصدينهُ . قالت انني من أسرة باترسون وقريتنا تعرف بهذا الاسم وهي على ما اظن تبعد مسافة خمسة اميـال من هنا . وكان الشابان يعرفان تلك القرية الجميلة وما فيها من الاملاك الواسعة والخيرات الكثيرة الا انهما كانا يجتنبان الذهاب اليها والتنزه بين غاباتها لان الرجل المقيم فيها كان يحب العزلة والانفراد فلم يكن يختلط مع احد من مجاوريهِ

ولما استراحت الفتاة اركبها هنري عربتهُ وساق بها الى قرية باترسون واكترى جورج عربة نقل ارسل اليها معها صناديق الفتاة وامتعتها

ولما بلغ هنري والفتاة القرية وقفا بالعربة امام منزل عمها وكان بنآءً فخيماً يدل على سعة يد ولطف ذوق وحسن ترتيب فترجل هنري وقرع الباب ففتحتهُ عجوزٌ وكانها استغربت القادمين فاجمجمت الى الورآء وسألتهما بتردد ماذا يريدان . فقالت الفتاة هل المستر باترسون هنـا . قالت العجوز لا فانهُ سافر الى مدينة سدني من يومين ولا ادري متى يرجع لكنهُ قال انهُ لا يغيب اكثر من اربعة ايام . وقد اتتني بالامس رسالة برقية باسمهِ لم ارسلها اليهِ لانهُ لم يترك هنا عنوان المكان الذي هو فيه فابقيتها الى حين رجوعهِ . فتبسمت الفتاة وقالت هي الرسالة التي بعثتهـا اليهِ اعلمهُ بقدومي . ثم نظرت الى العجوز وقالت انا أليس باترسون وقد جئت من انكلترا لارى عمي وهو لا يعلم بقدومي ولكن بما انهُ غائب فسأنتظرهُ . فنظرت

اليها العجوز وهي لم تظهر لها ادنى اهتمام وقالت لها ان لي في خدمة رب هذا البيت ما يقرب من خمس سنوات ولم أرَقط سيدةً جآءت تزورهُ قبل الآن ومع ذلك فاذا شئتِ ان تبقي هنا الى حين رجوعهِ فلا مانع البتة وهو متى جآء فاما ان يستقبلكِ على الرحب والسعة والا فهو ادرى مني بما ينبغي صنعهُ . وكان هنري يسمع كلام الفتاة والعجوز فاستآء من عدم وجود عمها ولم تعجبهُ طريقة مقابلة العجوز لأليس ولكنهُ بقي صامتاً فادخلتهما العجوز الى غرفة الاستراحة وقدمت لهما بعض المنعشات فجلسا يتحادثان الى ان وصلت امتعة أليس وقامت لايداعها في الغرفة التي عينتها لها العجوز . فقام هنري مودعاً ولكنهُ لم يتمكن من اخفآء قلقهِ لبقآء الفتاة وحدها في تلك القرية فقال لها اني لعدم معرفتي بعمكِ لا اتمكن من زيارتكِ فيما بعد غير اني ارجو ان تعديني انكِ اذا اعوزكِ امرٌ او احتجتِ الى خدمة مهما كانت لا تتأخرين عن مكاتبتي فانا ورفيقي مستعدان لقضآء كل ما يلزمكِ وعنوان محلنا هو كذا في شارع كذا . ثم ودع الفتاة وودعتهُ شاكرةً معروفهُ ورجع الى منزلهِ

ورأت أليس اسباب الراحة متوفرة في بيت عمها فاقامت تنتظر عودتهُ وقضت نهارها بين تلك الخمائل الغنآء والغابات الفسيحة تتمتع بشذا الزهور وتغريد الطيور ورأت في الاصطبل خيلاً فاختارت منها جواداً وكانت حاذقة بالركوب فامتطت صهوتهُ وجعلت تفحص حدود القرية وتصرف اوقاتها بالتنزه والرياضة . ومضى عليها اربعة ايام على هذه الحالة وفي اليوم الخامس ورد على العجوز رسالة فضتها فاذا بها من سدني من المستر باترسون يعلمها بانهُ عائدٌ في صباح اليوم التالي . فأطلعت أليس على الرسالة وهي تبشرها بقدوم عمها ولكن أليس ما وقع نظرها على الكتابة المذكورة حتى وقفت حيرى ثم سألت العجوز قائلةً هل انتِ متحققة ان هذا خط عمي . قالت نعم واذا كان عندكِ اقل ريب فتعالي قابليهِ مع سائر خطوطهِ في دفاترهِ واوراقهِ ثم اخذت أليس الى غرفة المكتبة وفتحت لها درجاً مملوءاً اوراقاً فرأت أليس فيهِ رسائل عديدة ودفاتر صغيرة فجلست لكي تقابل الخط ولكنها ما لبثت ان رأت بين تلك الاوراق ما استوجب انتباهها فغرقت في البحث فيها الى ان

نادتها العجوز الى العشآء فقامت وقد امتقع لونها واحتبس لسانها فلم تاكل في تلك الليلة شيئاً وذهبت الى غرفتها لتنام فلم تذق غمضاً . ولما انبثق نور الصباح نهضت وارتدت ثيابها ثم ركبت جوادها بعد ان قالت للعجوز انها ذاهبة لتلاقي عمها على محطة ملبرن . واخذت اليس تعدو الى ان بلغت المحطة فانتظرت ريثما وصل القطار ونزلت ركابهُ واذا بينهم رجل متقدم في العمر اشقر الشعر زرق العينين قد تقدم الى حوذيٍّ وطلب منهُ ان يوصلهُ الى قرية باترسون . فلما سمعت أليس ذلك الاسم تقدمت الى العربة وحيت الرجل فرد تحيتها فقالت لهُ هل حضرتك المستر باترسون صاحب هذه القرية . قال نعم انا هو . قالت وهل أليس باترسون الموجودة في انكلترا هي ابنة اخيك . قال نعم وهي اعزّ من ابنتي ايضاً ولكنني لا اظن انني اعرفها لو رأيتها الآن فقد مضت عليّ سنوات عديدة لم ارها فيها . قالت أليس انا من رصيفاتها في المدرسة وقد عدت منذ شهر الى وطني فكلفتني ان ازور باترسون وان ابلغك شوقها واحترامها وهي تتوسل اليك ان تأمر برجوعها فقد سئمت العيشة في انكلترا وتودّ جدّاً ان تكون في قرب عمها لتأنس بهِ وتكون في خدمتهِ . قال لها هذا مستحيل ومن يستبدل معيشة لندن الزاهية بهذه البلاد المقفرة . كلا انني لا اظلمها بالمجيء الى هنا وارجو منكِ اذا كنتِ حقيقةً صديقتها ان تكتبي اليها وتقنعيها ان لا تطلب المجيء الى هنا البتة . أتعدينني بذلك . قالت وصوتها يرتجف نعم أعدك . ثم ألح عليها ان ترافقهُ الى القرية ليقدم لها شيئاً وهو يودّ ان لا تفعل فرفضت شاكرة ثم ودعتهُ بقصير الكلام فذهب الى منزلهِ وحثت جوادها الى ملبرن

وكان هنري وجورج جالسين في غرفة من منزلها يتحادثان ويعيدان ذكرى ما مرّ بهما في ايامهما ثم توصلا الى حديث أليس واخذا يتسآءلان عما لعلهُ يكون قد تمّ من امرها واذا بوقع حوافر قرع آذانهما ثم اخذ الصوت يقترب الى ان بلغ الباب الخارجي من منزلها . فأطلاّ لينظرا من القادم واذا بأليس مقبلة وعلى وجهها علامات الانقباض مع الاصفرار الشديد فاسرعا لملتقاها وانزلاها عن جوادها ثم دخلا بها المنزل . ولما استراحت وملكت حواسها اخذت تقص على الشابين حديثها

وهي دامعة الطرف فقالت اني بقيت وحيدةً في ذلك المنزل الى صباح هذا اليوم وقد وردت علينا امس رسالة تنبئنا بقدوم عمي ولكن بعد وصول الرسالة اماطت التقادير عن عينيّ نقاباً وألقت امامي نوراً فعثرت على يوميات هذا الشيخ الغادر فوجدت انهُ ليس بعمي بل انهُ قد قتل عمي سرّاً في بلاد بعيدة وانتحل اسمهُ واستولى على كافة الاملاك والاموال وكان يجتهد في ابقآئي في انكلترا وابعادي عنهُ كي لا ينكشف امرهُ مفضلاً دفع مصاريفي القليلة هنالك على حضوري الى هنا وافتضاح الامر . ثم حدثتها كيف قابلتهُ في هذا الصباح وما جرى بينهما وكيف تركتهُ يذهب ناعم البال وجآءت اليها بمنتهى السرعة ليساعداها في القبض على هذا الجاني واستخلاص حقها منهُ . ثم انهُ في اثنآء الحديث اخرجت أليس من صدرها صورة وقالت هذه صورة عمي المقتول ظلماً فآه من لي بمن يدلني على ضريحهِ فازورهُ وابكيه ثم فاضت دموعها . ورأى هنري الصورة فجحظت عيناهُ وناولها لجورج قائلاً الا تتذكر هذه الهيئة . ففحصها جورج وقال بلى هذه نفس صورة القتيل الذي رأيناهُ في اسكتلندا . أجل هذا هو بعينهِ . ثم سألاها عن الرجل الذي قابلتهُ في الصباح فذكرت لهما صفتهُ فوجدها جورج تنطبق على نفس الشخص الذي رآهُ هنالك ايضاً ورجح انهُ هو القاتل . ثم دبرا امورهما وركب هنري قاصداً القرية واوصى جورج ان يلاقيهُ من الطريق الاخرى ويستصحب معهُ رجال الشرطة

وبلغ هنري منزل باترسون فقرع بابهُ فاستقبلتهُ العجوز فسألها عن المستر باترسون فقالت انهُ وصل الى هنا هذا الصباح واستخبر عما حدث في غيابهِ ثم دخل غرفتهُ فغاب هنيهةً وخرج مسرعاً فقال انهُ قد عرضت لهُ سفرةٌ ضرورية ربما يغيب فيها اشهراً وركب جواداً من افضل خيلهِ وسار ينهب الارض بعد ان ترك هنا كتاباً اوصاني ان اسلمهُ اليك

فتناول هنري الكتاب من يدها وقرأهُ فاذا هو يقول فيه

« ... اني قتلت باترسون منذ خمس سنوات في اسكتلندا واستأثرت باسمهِ وامواله الى الآن بدون ان يعلم احد . وقد تعقبتماني في اسكتلندا وابلغتما امري الى

شحنتها وكدتما تظفران بي لولا ان فتح لي سبيلٌ للنجاة حتى خلصت الى هنا . اما الآن وقد ظهر الامر بقدوم الفتاة الملعونة فقد قرب فوزكما ولكن خستما فلن تنالا مني قلامة ظفر وها انا سائرٌ في طريق يستحيل عليكما ان تتبعاني فيها . واعلمكما اني كنت مستعدًّا لمثل هذه المفاجأة ولذلك فان املاك باترسون مرهونة والاموال الطائلة اصبحت باسمي وقيمتها اوراقٌ في جيبي فاذا ظفرتما بأليس فأخبراها انها لن تجد في هذه البلاد سوى الفقر المدقع والحاجة الشديدة فلو بقيت في انكلترا لكان افضل لها ولي فلتلعنها السمآء ولتلعنكما معها فقد سببتما لي هذه المصائب »

فحرق هنري باسنانهِ غيظًا على فرار هذا المجرم من يدهِ وجعل يفكر فيما يجب ان يفعلهُ ثم خطر لهُ ان يتتبع الطريق التي سار الرجل منها الى ان يلتقي بجورج والشحنة فلعلهم يكونون قد صادفوهُ . فما ابعد حتى رأى جورج قادمًا ومعهُ خمسة من الشرطة فلما اقترب منهم صاح وا اسفاه لقد نجا اللعين . ثم ناول الكتاب لجورج فقرأهُ و بعد ان اتمّ قرآءتهُ نظر الى هنري مبتسمًا وقال اما قولهُ انهُ سائرٌ في طريق يستحيل علينا اتباعهُ فيها فصحيح واما ان نجدهُ سائرًا فيها.فسهلٌ وقد وجدناهُ . قال هنري وكيف ذلك . قال بينما نحن قادمون وقد بلغنا منعطف الأكمة رأينا عن بعد فارسًا يعدو كالبرق واذا بجواده قد عثر فسقط براكبه الى الارض وللحال اسرعنا الى المكان فوجدنا الرجل صريعًا لاحراك بهِ لانهُ وقع على امّ رأسهِ وفقد الحياة للحال وقد وجدنا معهُ هذه المحفظة وهي مملوءة من الحوالات والاوراق المالية فاخذتها وتركت معهُ بعض الرجال يحملونهُ الى هنا

واستحضر هنري وجورج أليس ثم رفعا الامر الى الحكومة مؤيدًا بالادلة والبراهين فاعيدت الاملاك والاموال باسرها الى أليس . واستأذنت أليس في نقل عظام عمها من اسكتلندا الى املاكها في ملبرن فاذن لها ولما انقضت ايام حزنها اقترن بها جورج و بقي هنري مقيمًا معهما فقضوا جميعًا حياةً طيبة عاشوا فيها على تمام الصفو والرغد الى ان فرّقت بينهم الاقدار